طوبى للرحماء



سلسلة مقالات القديس الأنبا ساويرس
البطريرك الأنطاكي

٢٢

طوبى للرحماء لأنهم يرحمون

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

لصفحة لتالية

لصفحة السابقة

Exit



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

٢٢

طوبى للرحماء لأنهم يرحمون

عن الآيات التى فى الانجيل المقدس القائلة :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون . طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون » .

« ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم . ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون . ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون » لو ٦ : ٢٠ — ٢١ ، ٢٤ — ٢٥ .

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثالث من الجزء السادس والعشرين من مجموعة

PATROLOGIA ORIENTALES

R. graffin – F. Nau

Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche

Publiées et traduites par

Maurice Brière

يوسف حبيب — مليكه حبيب يوسف



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

حينما أرى بعض الناس يستمعون إلى كلمات الإنجيل بعدم انتباه ، ويضحكون بدون سبب من وصايا مخلصنا ، معتقدين أن الوصايا مستحيلة وأنها لا تتفق مع الطبيعة ، فإنى أتعذب مثل هؤلاء. التجار الذين بحثوا عن اللآلىء الثمينة حسب قول ربنا ، وبعد أن حصلوا على بعضها وأرهقوا أنفسهم جاهدين فى الأعمال التجارية ، استسلموا فى النهاية للراحة ؛ فرأوا البعض ممن لا خبرة لهم ولا دراية بإستعمال هذه الأشياء. حتى لربما يغطون اللؤلؤة الثمينة برصاص عديم القيمة أو بإحدى المواد التى لا بريق لها ولا قيمة أيضاً ، فاغتاظوا وغضبوا ؛ ثم هبوا فى حماس ضد هؤلاء. الناس الذين لا يتذوقون الجمال وليس لهم به خبرة وهم يصيحون قائلين : « ماذا تفعلون أنتم الذين تغطون بريق اللؤلؤة وتألقها إذ تكسوها مادة قليلة القيمة وتضيفون إليها قبحاً بدلا من أن تكسبوها جمالا كنتم تتوقعونه ؟ لقد كان يجب أن تؤلفوا بين الحجر الذى له بياض الثلج وبين الذهب الذى يشبه الشمس وبذلك تكملون جمال المنظر الفريد بالتناسق بين الألوان الجميلة ».

بين المساكين بالروح والأغنياء المترفين :

فإنى كذلك حينما أقرأ كلمات الرب التى كتبها لوقا البشير : « طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
الصفحة التالية
الصفحة السابقة
Exit

الجياع الآن لأنكم تشبعون . طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون. ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم » لو ٦ : ٢٠ - ٢١ ، ٢٤ . بالاختصار كنت أشعر أنكم من ناحية لم تتوبوا بقلوبكم ولم تحزنوا بسبب هذه الكلمات كما ينبغي ، ومن ناحية أخرى سمعت البعض يقول: « حاشا ، لن يصيبني شيء من هذا ، أن أصبح فقيراً أو باكياً محتاجاً ، أو أحزن وأبكي موت أحد أقربائي ! بل بالعكس أرجو أن أمتلئ بالأموال والخيرات وأتمتع بها ، وأرى الغنى يأتيني من كل جانب ويطيب لي العيش وأكون مسروراً ، أمرح وأمشي الملاهي ، وأروّح عن نفسي وتكون حياتي خالية من كل حزن ! » .

قول السيد : « طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » (لو ٦ : ٢٠) نور للبصيرة :

انى أصرخ في هؤلاء مثل هذا التاجر ، بعد تجارة قد طال في أمدها ، حتى حان لي أن اركن للراحة ، إلا انى ما كنت لاحتمل احتقارهم لهذه الاحجار الكريمة والدرر العظيمة الثمينة .

أيها المختارون :

ان تلك الكلمات الحية حقيقة ، الطاهرة المقدسة السماوية ، حينما تقبلها الأنفس الذهبية المستنيرة يتألق البريق الذى يشع منها !



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
الصفحة التالية
الصفحة السابقة
Exit

ولكن حينما تسقط في قلوب رصاصية أو بالحرى في قلوب طينية، أو في قلوب الخنازير - حتى استعمل الفاظاً أكثر ملاءمة ، فهى تختنق وتستتر في ظلمات عـــدم التبصر ، بينما يغمضون أعينهم طواعية ، وإن كانوا فتحوها قليلاً ما كان البرق يمرّ دون أن يرى . لذلك كان مخلصنا يقول : « لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير. لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » مت ٧ : ٦ .

فبعد أن داسوا بأقدامهم لعدم تبصرهم بريق الكلمات الإلهية وشرّ هموه ما استطاعوا ، لأنهم لم يروا ولم يفهموا ، يحاولون مراراً كثيرة أن يستغلوا المناقشه . فيثيرون الاعتراضات ، معتقدين بذلك أنهم يستطيعون أن يسقطونا و يغلبونا في المعارك.

ان ارادوا فليميلوا آذانهم ويطهروها قليلاً من الخسة وينصتوا إلى رفعة الكلمات الإنجيلية ويستمعوا إلى صوت العقل. لم يقرر الكتاب المقدس ابداً أن من كان صفر اليدين من الخيرات هو المسكين ، ولا عكس ذلك ان الإنسان الممتلىء بالخيرات هو الغنى . ولكنه يعلن الطريق لذاك الذى يكون مسكيناً في فكره مسكنة تستحق المديح ، ووديعاً في أسلوبه ، يعرف فضل الله فيما اعطاه ولايشتهى ما لم يُعط . فلو أن احداً لايملك شيئاً، ولكنه



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

يشتهي الخيرات ، فإنه يكون مختنقاً بشهوة الغنى ، يمتلك القليل ولا يكتفي بالقوت والكساء حسبما حدده قانون الرسول بولس عن الكفاف إذ يقول : « فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » ١ تى ٦ : ٨ .

من كان هكذا فهو ليس المسكين المطوّب ، بل هو في الواقع غني بائس ، فإنه بسبب الطمع والرغبة في الحصول على أكثر من حاجته ، يريد في قرارة نفسه أن يكون غنياً ويتجه في ذلك اتجاهاً شريراً .

فإن ما نجده في انجيل لوقا البشير بصفة عامة « طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » لو ٦ : ٢٠ . يقول متى البشير موضحاً معناه الخاص : « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » مت ٥ : ٣ .

\+ + +



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

الأغنياء المغبوطون

فمن له الخيرات الوفيرة ويتمتع بامتلاكها، فليسمع بولس الرسول الذى كتب إلى تيموثاوس: «أوصِ الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع. وأن يصنعوا صلاحاً وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع. مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكى يمسكوا بالحياة الأبدية» (تى : ١٧-١٩).

ومن ذا الذى يفعل ذلك بالحقيقة؟

هو ذلك الذى يملك مالاً، ليس لنفسه، بل للمحتاجين، فلا يكون مثل ذلك الغنى الذى رثى لحاله، بل يصح عليه أنه ذلك المسكين بالروح ووارث ملكوت السموات.

ألم يكن أيوب الصديق فى حالة الأزمنة الصعبة وفى سبيل التقوى والفضيلة غير المسلوك يفكر تفكيراً كاملاً حسب الإنجيل؟ كان فى أحلام الملوك يتمتع بوفرة الممتلكات، وفى عدم اهتمامه بالمادة اتخذ لنفسه أسلوب الحياة الفقيرة، فلم يكن متشبثاً بالغنى الذى كان يأخذ طريقه إليه، بل كان يغترف منه بيد



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
الصفحة التالية
الصفحة السابقة
Exit

محبة غنية ولا يخفيه في الأرض ، لكي ينال الحرية ويقول الرب الذي عليه ، بعد تجربة القروح الغريبة ، مقراً من جهة ولا يجعل تعليمنا لكي نتمثل به من جهة أخرى :

« ان كنت قد جعلت الذهب معتمدي أو قلت للابريز انت متكلي . ان كنت قد فرحت إذ كثرت ثروتي ولأن يدي وجدت كثيراً » .

« فهذا أيضاً إثم يعرض للقضاء لأني أكون قد جحدت الله من فوق » أي ٣١ : ٢٤ - ٢٥ ، ٢٨ .

فهو من ناحية يبين بهذه الكلمات انه يحتقر المادة ، ومن ناحية اخرى يبين مقدار الثروة التي كان ينفقها عن سعة بغية ان يصير مسكيناً بالروح ، غنياً في عطاء ، وكرم ومحبة . فلنستمع إليه يقول :

« غريب لم يبت في الخارج . فتحت للمسافر أبوابي » أي ٣١ : ١٦ - ١٧ .

وأيضاً قبل ذلك : « ان كنت منعت المساكين عن مرادهم او أفنيت عيني الأرملة . او اكلت لقمتي وحدي فما اكل منها اليتيم » أي ٣١ : ١٦ - ١٧ .



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

ابراهيم قدوة للأغنياء

بنفس هذا الأسلوب كان أبونا ابراهيم ايضاً غنياً : فكانت لديه الأملاك الكثيرة من كل نوع ، وفضلا عن ذلك كان مسكيناً بالروح يحتقر المادة كل يوم ، بعيداً عن شهوة الملكية الزائدة عن الحاجة ، لدرجة أنه بعد أن حارب خمسة ملوك وكانوا قد أتوا لمحاربة سدوم وعامورة ، وانتصر عليهم في المعركة وأسرهم ، كان يحتقر الغنيمة ويقول لملك سـدوم الذي كان قد هب لمساعدته ويأمل أن يكرمه بجزء منها :

« رفعت يدي الى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض لا آخذن لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك ، فلا تقول أنا أغنيت ابرام . ليس لي غير أكلة الغلمان ، وأما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي عانر واشكول وممرا فهم يأخذون نصيبهم » تك ١٤ : ٢٢ - ٢٤ .

ان هذه التعبيرات وهذه الألفاظ كانت نابعة حقيقة من فكر مسكين بالروح . يقول : اني احتقر النصيب الذي يليق بي بسماحة ! يكفي خدمي وعشيرتي أن يأكلوا فقط . اما الذين ذهبوا معي في نفس الوقت وساندوني ، فليعطوا نصيبهم من الغنيمة لا



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

باطل ما يأتي من المجد الباطل؛ هل أيدركريماً بتقديم هدايا مما للغير؟ بل يستطيع المرء أن يمارس الحياة الفلسفية الحكيمة جيداً بما له. هذا ما كان يفعله بولس الرسول أيضاً، إذ يوصي الذين يبشرون بالإنجيل والذين يلازمون المذبح، بأن يعيشوا من الإنجيل ومن المذبح: «ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون» ١ كو ٩ : ١٣ – ١٤. فكان يترك نصيبه بأسلوبه الرفيع ويقول: «أما أنا فلم أستعمل شيئاً من هذا. ولا كتبت هذا لكي يصير فيّ هكذا. لأنه خير لي أن أموت من أن يعطل أحد فخري... فما هو أجري إذ وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل» ١ كو ٩ : ١٥، ١٨.

من يتنازل عما هو خاضع لسلطانه، فإنه يستحق المدح لسماحته؛ ومن يكن بلا رحمة حتى فيما يختص بالآخرين يشجب.

إن أبانا ابراهيم كان كريماً في الصرف بسبب غناه، وهذا ما تشهد به ممارسته للضيافة، لدرجة أنه كان يجلس عند الظهر بالقرب من باب خيمته (تك ١٨ : ١) وينتظر لكي يستضيف



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

أحد الغرباء العابرين ؛ وهكذا استضاف بالحقيقة الملائكة كما يقول بولس الرسول ، أو بالحرى استضاف الله ذاته فى شكل رجال وفى شكل ملائكة .. « لا تنسوا اضافة الغـــرباء لأن بها اضاف اناس ملائكة وهم لايدرون » عب ١٣ : ٢ .

هذه حال المساكين بالروح المطوّبة . فلا يخضع الغنى فى غناه لأصحابه ويكون عبداً مسخراً فى الأعمال . ان الغنى فيما يملك الإنسان من أسره ، فيملك الجواد ما يأتيه ويستأثر به حائلا بينه وبين مقومات البخل ؛ وقد يبلغ بالبخيل الأمر الا يستطيع أن يبسط يده ويعطى صدقة واحدة لأحد ، مثل هذا الغنىّ يجعل صاحبه يبدو علوكاً بعد أن كان مالكاً .

كان مخلصنا يدين هذه العبودية التى تستدعى الشفقة فيقول :

السرى خدعة المال :

« لايقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » مت ٦ : ٢٤ .

« لايقدر خادم أن يخدم سيدين . لأنه اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » لو ١٦ : ١٣ .



الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

وليس بمحرّم أن يصير المرء غنياً ، إنما أن يخدم الإنسان شهوة الغنى فيكون بها مقيداً كعبد حقير ، فهذا ما نهانا عنه .

فلا نكن إذن مسترخين فى حياتنا ، فاترين فى أفكارنا ، ولا نحزن ، بل نسرّ بالحرى لدى سماع الحكم بالنجاة من الدينونة : « ولكن ويل لكم أيها الأغنياء . لأنكم قد نلتم عزاءكم » لو ٦ : ٢٤ .

« فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم أنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات » مت ١٩ : ٢٣ .

فإن الكلمة لا تخص كل الذين فى وفرة من الثراء ، بل فقط من يضعون كل فكرهم فى الخيرات والممتلكات ، ويتركون أنفسهم تأسرها الأفكار وهم ليسوا مساكين بالروح .

وهذا ما يبينه مرقس الرسول حينما ينقل بوضوح فكرة مخلصنا فيكتب هذه العبارات : « فتحير التلاميذ من كلامه . فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم يا بنىّ ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله » مر ١٠ : ٢٤ .

ان ما يغلق ملكوت السموات أمام الإنســـان ليس هو امتلاكه للخيرات ، بل ان يضع ثقته فيها . ومن ذا الذى يضع ثقته فى الأموال الآ الذى لا يسمع كلمة ربنا القائلة : « لاتكنزوا



لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ويسرقون لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً » مت ٦ : ١٩ - ٢١ .

ولكن عند ذلك ربما تقول : « ماذا اترك إذن لورثي ؟ » .

- بقدر ما تركه هذا الفيلسوف العظيم ايوب ، وابراهيم البار واسحق ويعقوب أيضاً .

في الواقع أنه لن ينقص شيء مع عطاء نعمة الله حتى يكون في ذلك تعارض مع الجود في عطيتك انه يعطيك الآف المصادر للخيرات حينما تكون غنياً ، وربما تفقه في التقوى تكون « مسكيناً بالروح » .

أيهما أفضل وأكثر نفعاً ، ان تترك ميراثاً لأولادك كنزاً سماوياً ، أو كنزاً عفنياً في الأرض يعفن معه قلبك أيضاً ؟ الكنز السماوي به تصبح اغنياء في حرص ، أو فقراء يحق عليهم الثناء ، اولئك الذين يصيرون اغنياء حسب الناموس .

لأن الذين كانوا من عشيرة ابراهيم كانوا متنبهين لهذه النقطة ، كانوا يتركون ميراثاً علوياً بركة لخلفهم .



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

الخيرات الارضية تطلب البركة :

حينما كان اسحق يبـــارك يعقوب كان يبتدىء بالبركة فى الميراث بالسماء :

« فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض . وكثرة حنطة وخمر » تك ٢٧ : ٢٨ .

لأن كل خيرات الارض تضاف ايضاً إلى خيرات السماء فى نفس البركة ، لأن كل الباقى يزاد للذين يطلبون ملكوت الله .

«لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» مت ٦ : ٣٣ .

لكن الترتيب بالنسبة لعيسو كان عكسياً فقد ظهر أنه غير مستحق للبركة ، ولم يبدأ الميراث بالسماء . فماذا قال له أبوه ؟ « فأجاب اسحق أبوه وقال له هوذا بلا دسم الارض يكون مسكنك . وبلا ندى السماء من فوق » تك ٢٧ : ٣٩ .

ارأيت كيف يسبق من يلى نزولا هنا الاعلى ، وذلك لايكون ايضاً خالياً تماماً من فيض الله بسبب سماحة كرم الله ، الذى يمطر على الابرار وعلى الاشرار ويجعل الشمس تشرق على الاشرار وعلى الابرار . « فإنه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » مت ٥ : ٤٥ .



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

تأمل إذن كيف تتلاءم دقة كلمات الكتاب المقدس مع ما يحق عليها . فمن ناحية قال بشأن ما يداه ببركة السماء تلك كلمة البركة التى وضعت فى المكان الأول : « فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر » تك ٢٧ : ٢٨ .

ومن ناحية أخرى لم يضع أولا فيما يداه بالأرض هذه الكلمة : « ليعطك الله » ، بل : « هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى من السماء من فوق » تك ٢٧ : ٢٩ .

ذلك أنه حينما يكون هنالك الاقدام للعالم فقط لا تكون هناك بركة مثالية عالية .

المساكين بالروح لايفلقون افكارهم بالانتفاخ :

إذن طوبى للمساكين بالروح ، الودعاء فى روحهم ، الذين هم معتدلون ، ولا يفلطون افكارهم بانتفاخ الغنى ولا يتعلقون بما لا يليق وبما يزول . أى الفقراء بسبب قانون الروح القدس ، وفقاً لما قاله مخلصنا الصالح لتلاميذه : « الروح هو الذى يحيي ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة . ولكن فيكم قوم لا يؤمنون » يو ٦ : ٦٤ .

† † †



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

مفهوم الروح فى الكتاب

فإن كلمة روح حينما نجدها فى الكتب الإلهية بطريقة غير محددة ، دون أن يكتب معها شىء ، فهى تعنى على العموم إما روح الإنسان ، وإما روح الله القدوس .

فمن المعنى الأول يشير إليها ما هو مكتوب فى سفر زكريا النبى فيما يختص بالله: «باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان فى داخله » زك ١٢ : ١ .

ويشبه ذلك أيضاً ما قاله الملك حزقيا حينما كان مريضاً وكانت روحه على وشك أن تخرج من جسده . يقول أشعياء النبى: « مسكنى قد انقلع وانتقل عنى كخيمة الراعى . لففت كالحائك حياتى . من النول يقطعنى . النهار والليل تفنينى » اش ٣٨ : ١٢ .

هذا أيضاً ماقيل فى سفر باروخ النبى : « وافتح يارب عينيك وانظر فإنه ليس الموتى الذين فى الهاوية الذين ابتلعت أرواحهم من أحشائهم يعطون مجداً وبراً الرب . لكن النفس الحزينة إلى الغاية التى تمشى منحنية وضعيفة والعيون الكليلة والنفس الجائعة تعطيك مجداً وعدلا يارب » باروخ ٢ : ١٧ - ١٨ .

ويشبه ذلك أيضاً ما قاله ربنا فى الأناجيل : « أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف » مت ٢٦ : ٤١ .



وما كتبه بولس الرسول إلى أهل كورنثوس : « لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه . هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا الله » ١ كو ٢ : ١١ .

وعن المعنى الثانى تشير أيضاً بطريقة غير محددة تلك الكلمات التى قالها الرسول : « اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » غل ٥ : ١٦ .

وأيضاً : « غير متكاسلين فى الاجتهاد . حارين فى الروح . عابدين الرب » رو ١٢ : ١١ .

وأيضاً : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان » غل ٥ : ٢٢ .

وفى مكان آخر : « لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله » ١ كو ٢ : ١٠ .

وقد حاول البعض مع ذلك أن يفهموا المقصود بلفظة الروح فى قوله : « طوبى للمساكين بالروح » مت ٥ : ٣ . أنه الروح الشرير الذى كان يقول عنه بولس الرسول حينما كتب إلى أهل أفسس : « التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء . الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية »



ا ف ٢ : ٢ . حتى ان المطوّبين يكرزون من اولئك الفقراء الذين تحرروا من روح العدو ومن كل حركة وكل هوى شرير .

لكن هذا ليس صحيحاً . فإننا لا نجد فعلاً فى اى مكان آخر من الكتب المقدسة ان الاشارة إلى الروح الشرير والوسواس تكون بطريقة عامة غير محدودة، بل تكون حتماً مع إضافة، مثل:

« إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى اماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد » مت ١٢ : ٤٣ .

« متى خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى اماكن ليس فيها ماء يطلب راحة . وإذ لا يجد يقول ارجع إلى بيتى الذى خرجت منه » لو ١١ : ٢٤ .

وايضا : « ولما خرج من السفينة الوقت استقبله من القبور انسان به روح نجس » مر ٥ : ٢ .

« لأنه امر الروح النجس ان يخرج من الإنسان » لو ٨ : ٢٩ .

وايضاً : « فلما رأى يسوع ان الجمع يتراكضون انتهر الروح النجس قائلا له ايها الروح الأخرس الأصم انا آمرك . اخرج منه ولا تدخله ايضاً » مر ٩ : ٢٥ .



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
لصفحة لتالية
لصفحة السابقة
Exit

بالروح القدس تطرد الروح الشريرة

يمكننا ان نفهم بتقوى ايضا الآية التى نحن بصددها حسب هذا الرأى، فيكون معناها : «طوبى للذين بواسطة الروح القدس قد طردوا بعيدا عنهم جميع الأهواء الخزية وهم فقراء منها وكانوا اطهارا يقولون الحق بالا كذب. لانه حيث يسكن الروح الإلهى يكون حتما هروب الأعداء وتضاؤلهم والقضاء عليهم .

لنصر إذن ، مساكين بالروح ، بكل وسيلة ، ولتكن لنا افكار معتدلة ، لنخفف من حمل المال الثقيل ومن احمال الممتلكات والأهواء ، حتى لا يغلق بكثرتها وكبر حجومها امامنا الباب الضيق المحصور لملكوت السموات .

«ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه » مت ٧ : ١٤ .

إذن «طوبى للمساكين بالروح» مت ٥ : ٣ .

تخيلات المجد الباطل :

وفى الواقع ان الذين يحتقرون امتلاك المادة تخاذلا منهم فى سبيل الروح والقوانين الإلهية ، ويصرفون من أجل شهوات الجسد وتخيلات المجد الباطل باسراف كثير بلا فائدة ، هؤلاء

يلزمنا ان نرثي لحالهم من اجل اسرافهم ، كما اننا لا ندعو محبي اللهو كرماء .

ويبدو لي ان دلالة لفظة المساكين في قـــول لوقا البشير بصفة عامة :

« طوباكم ايها المساكين لان لكم ملكوت الله » لو ٦ : ٢٠ ، ليست مطلقة ولا ينقصها التحديد الخاص حسب قول متى البشير :
« طوبى للمساكين بالروح » مت ٥ : ٣ .

ففي الواقع ورد بعد هذه التطويبات قوله : « طوباكم إذا ابغضكم الناس وإذا افرزوكم وعيروكم واخرجوا اسمكم كشرير من اجل ابن الإنسان » لو ٦ : ٢٢ . وبهذا تشمل كل التطويبات بنفس الطريقة ، وفضلا عن ذلك فهي تتفق مع جميعها .

اشتراط الطوبى بالارتباط بالمسيح :

« طوباكم ايها المساكين » لو ٦ : ٢٠ . يجب ان نفهم انه مكتوب ايضا معها : « من اجل ابن الإنسان » .

بمعنى : « طوباكم ايها المساكين » بسبب ابن الإنسان .

وهذا يعني نفس الشيء كقوله : « طوبى للمساكين بالروح » مت ٥ : ٣ .



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
لصفحة لتالية
لصفحة السابقة
Exit



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة لتالية

الصفحة السابقة

Exit

الجحود باب للتجديف

كثيرون فعلا ليسوا مباركين من أجل ابن الإنسان أو من أجل المسيح ، لايشكرون الله فى حالة الفقر الذى يأتى بسبب الحرمان والضيق ، ولايعرفون الجميل وهم يجدفون ضد الله .

طوبى للرحماء من أجل ابن الإنسان . « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » مت ٥ : ٧ .

يروق للبعض أن يفعلوا ذلك لكى يظهروا للناس ، أولئك ليسوا مطوّبين .

« طوبى لصانعى السلام » مت ٥ : ٩ . إذا كانت وداعتهم من أجل ابن الإنسان .

فى الواقع اننا نرى البعض يؤسسون السلام مع بعضهم البعض على القسوة والاتفاق السوء الذى يقول عنه داود النبى فى المزامير : « لأنى غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار » مز ٧٣ : ٣ .

« طوبى للأنقياء القلب » مت ٥ : ٨ . من أجل ابن الإنسان .

لا ينقى القلب بدون المسيح :

من يستطيع أن يكون نقى القلب دون أن ينظر نحو ابن الإنسان ؟ فإذا حوّل المرء نظره عن التأمل فى ابن الإنسان يصير



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

خارجاً وبعيداً عن نقاوة القلب بالكلية لذلك كتب يوحنا اللاهوتي:

« أيها الأحباء. الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر » ١ يو ٣ : ٢ - ٣ .

البقاء في الطهارة اكراما لجسد المسيح :

وكتب ايضاً اغناطيوس لابس الإله إلى بوليكارب بهذه العبارات : « إذا كان أحد يستطيع أن يبقى في الطهارة اكراماً لجسد ربنا يسوع ، فليبق في الإتضاع ؛ لكن ان كان يفتخر فقد ضاع » . فإنه يبدو في الواقع أن بقاء « في الطهارة ليس من أجل إبن الإنسان .

شواهد الوداعة :

« طوبى للودعاء » مت ٥ : ٥ . من أجل إبن الإنسان .

فإن اولئك هم الذين بسبب القوانين نفسها يحرمون الغضب، والضجة والحقد والتجديف وكل قساوة وما أرخه بولس الرسول تفصيلا :

« ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث » اف ٤ : ٣١ .

هؤلاء هم الذين يجب أن تطوبهم ، وليس اولئــــك الذين



يشبهون المجانين عديمي الاحساس فقد أصبحوا خارج الطبيعة . لأن هؤلاء بحق لن ينالوا أكاليل الفضيلة كما انه لن يكفي مايصيبهم من العقاب من أجل القسوة .

« طوبى للجياع والعطاش إلى البر » مت ٥ : ٦ .

من المؤكد أن ذلك يكون من أجل ابن الإنسان . فإن الذين يطلبون المسيح وهم جياع وعطشى إليه ، يبحثون عن البر الحقيق وليس عما يسر الناس مطلقاً ، الأمر الذى يتسبب عنه مراراً كثيرة الكذب . لأن كثيرين بعد أن ألقوا المقالات الطويلة عن البر ، والعدل ، لم يستطيعوا أن يجدوا ما هو عادل حقاً .

بهذا المعنى يعلمنا سفر المزامير المقدس كيف نميز العدل الحقيق . « تحطمهم بقضيب من حديد مثل اناء خزاف تكسرهم » مز ٢ : ٩ .

كذلك فإن هذه العبارات : « طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون » لو ٦ : ٢١ . وأيضاً : « طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » مت ٥ : ٤ . متفقة مع نفس المعنى ، ويفهم منها أيضاً أنها من أجل ابن الإنسان .

وفى الواقع ليست كل الأحزان وهى أصل تعبنا ودموعنا ، تأتى من أجل ابن الإنسان أو تثاب عنها بالطوبى من عند الله ، وفى ذلك كان بولس الرسول أيضاً يقول :



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

الحزن بحسب مشيئة الله

« لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة . وأما حزن العالم فينشئ موتاً » ٢ كو ٧ : ١٠ .

ومن الناس من يحزن من أجل العالم ويأسف على الحرمان من شهوات الجسد ويجعل من خسارته لشئ من الأشياء المادية سبباً لأنينه هكذا كان الاسرائيليون حينما تذكروا أوانى اللحم فى مصر ، كانوا يبكون فى الصحراء ويثيرون لهم بطونهم الشرهة ويطلبون من موسى أن يشبع رغبتهم ، حتى قال موسى لله : « من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب . لأنهم يبكون علىّ قائلين اعطنا لحماً لنأكل » عدد ١١ : ١٣ .

\+ + +



الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

الحزن المكروه

ويقع فى ذلك الحزن المتبلد المكروه المحجوب أيضاً أولئك الذين يبقون صامتين بسبب عطايا تافهة وبسيطة ويشتهون أموال الغير ظلماً : كما كتب عن آخاب ملك اسرائيل الذى اشتهى أن يأخذ كرم نابوت دون موافقته . يقول الكتاب :

" فدخل آخاب بيته مكتئباً مغموماً من أجل الكلام الذى كلم به نابوت اليزرعيلى قائلا لا أعطيك ميراث آبائى. واضطجع على سريره وحوّل وجهه ولم يأكل خبزاً " ٣ مل ٢١ : ٤ . فنال موضوع شهوته بعد أن قتل هذا الرجل .

بهذا الحزن المكروه من الله نجد أيضاً اولئك الذين يتحيرون على موت أحبائهم فى غير اعتدال أو لياقة ، فيجلبون التجديف وليس الإيمان فيما يختص برجاء القيامة ، وهم الذين يقول عنهم بولس الرسول :

" ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم " (١ تس ٤ : ١٣) .

† † †



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
لصفحة لتالية
لصفحة السابقة
Exit

الحزن على الخطا

من هو إذن من الحزانى يكون مغبوطاً يبكى من أجل ابن الإنسان ؟

أنه ذلك الذى يسكب الدموع على خطاياه ، ويطلب أن يتطهر ويكون قريباً من المسيح ، وكان سبب حزنه هو الانفصال عن الله لأنه اخطأ ؛ يقول مع داود :

• لأنى اخبر بإثمى واغتم من خطيتى » مز ٣٨ : ١٨ .

• جعلت لباسى مسحاً وصرت لهم مثلاً » مز ٦٨ : ١٢ .

• كمن ينوح على أمه انحنيت حزيناً » مز ٣٥ : ١٤ .

• جداول مياه جرت من عينى لأنهم لم يحفظوا شريعتك » مز ١١٩ : ١٣٦ .

فإنه بالتطهير بمثل هذه الممارسات يرتفع الإنسان إلى درجة كبيرة ويتقد حباً فى الآخرين أيضاً الذين يستدعى حالهم الأنين ويقول مرنماً :

• الحية أخذتنى بسبب الأشرار تاركى شريعتك » مز ١١٩ : ٥٣ .

بهذه الطريقة أيضاً كان أرميا النبى حزيناً إذ يرى مواطنيه يخطئون ويفرحون يقول :



« لم أجلس في محفل المازحين مبتهجاً . من أجل يدك جلست وحدي لأنك قد ملأتني غضباً » ار ١٥ : ١٧ .

كذلك كان صموئيل النبي وقد كان يرى منذ طفولته ما هو حق ، وأضحى مشهوراً بين الأنبياء والقضاة ؛ فإنه عندما رأى شاول الذي كان قد مسحه ملكاً ، قد أخطأ وكان مسيئاً لاحتقاره وصايا الله ، وكان مرفوضاً بعيداً عن رضى الله ، فبينما كان صموئيل النبي بعيد عنه كان يبكي على خطيته ، إلى أن كشف الله له أن هذه الخطية لا شفاء منها . ويجدر بنا أن نستمع إلى كلمات الكتاب الملهم به من الله :

« ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول والرب ندم لأنه ملك شاول على اسرائيل . فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل . املأ قرنك دهنا وتعال أرسلك إلى يسى البيتلحمي لأني قد رأيت في بنيه ملكاً » ١صم ١٥ : ٣٥ - ١٦ : ١ .

بنفس هذا الأسلوب أيضاً كان بولس الرسول يتصرف حينما كتب إلى أهل كورنثوس :

« أن يذلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنى والعهارة التي فعلوها » ٢ كو ١٢ : ٢١ .



الحزن لاسترداد كرامة النفس

توجد أيضاً درجة عليا عند صفوة الذين يشعرون بالحزن وهم من المغبوطين . فقد يأخذ الإنسان فى اعتباره كرامته بعد أن يطهر نفسه من المادة ويعرف لنفسه كرامتها ، وكيف أنها بعد أن سقطت من الفردوس وتبدت بعيداً من نعمة الخلود ، لبست قمصان الجلد التى ترمز الى حالة الموت ، فيشتهى الانطلاق مع المسيح كقول بولس الرسول :

• فإنى أنا الآن أسكب سكيباً ووقت انحلالى قد حضر • ٢ تى ٤ : ٦ .

• فإنى محصور من الاثنين لى اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً • فى ١ : ٢٣ .

• فإننا نحن الذين فى الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكى يبتلع المائت من الحياة • ٢ كو ٥ : ٤ .

† † †



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

الصفحة التالية

الصفحة السابقة

Exit

عطش النفس إلى الله

كان داود النبي أيضاً يتألم من جراء هذا الحنين والشوق إذ قال:

« عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي . متى أجيء وأتراءى قدام الله . صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً إذ قيل لي كل يوم أين إلهك » مز ٤٢ : ٢ - ٣ .

وانطونيوس العظيم أيضاً كان يتحمل حينما كان يصعد وسط أمواج حياة النسك الطاهر ، حتى درجة التحرر من الجسد. وكان يفكر فيما يليق برفعة الروح ، وكان يجهد نفسه وينتحب في كل مرة يضطر إلى أن ينزل إلى طعام الجسد .

وقد كتب عنهم :

« طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون » لو ٦ : ٢١ .

ويدعو لوقا السرور والتعزية « ضحكاً » بينما لم يكتب متى البشير « لأنكم ستضحكون » ، بل : « لأنهم يتعزون » مت ٥ : ٥ .

ويدعو الكتاب الإلهي عادة السرور ضحكاً . لذلك بعد أن ولدت سارة إسحق قالت :

« قد صنع إلي الله ضحكاً . كل من يسمع يضحك لي » تك ٢١ : ٦ .



فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات
الصفحة التالية
الصفحة السابقة
Exit

وقال أيوب أيضاً عن الله : « عندما يملأ فاك ضحكاً وشفتيك هتافاً » اى ٨ : ٢١ .

اما ضحك الجهلاء فيشجبه سفر الحكمة قائلا :

« لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال . هذا أيضاً باطل » جا ٧ : ٦ .

أين هم اولئك الذين يضيعون طول اليـــوم فى مشاهدة العروض ، ويذهبون ليلا إلى أماكن اللهو الدنس ، ويصيحون مثل الغربان بكلمات مضحكة ، أنهم قوم عقورون يعلمون العار على الصغار فضلا عن الرجال الكاملين ؟

لكنى ربما استمع إلى مَن يردّ علىّ فى ذلك قائلا : « لماذا تمتحننا دون أن تكون أنت ذاتك مجروحاً فى شىء ؟ أنشتهى الاجتماعات التى تتم فى الكنيسة ؟ أكنا نحث غيرنا على الذهاب إلى الملاهى ؟ ألا فاصمت إذن كما انا صامتون » .

من السهل أن تقول لهم : « أنتم لكم طريق منزلق ينحدر إلى أسفل ، هو طريق اللذات يجرف جماعة الكثيرين مرة واحدة فى غير حاجة إلى أى كلمة أخرى . اما أنا فاذ أدرب فى طريق الفضيلة المتعب الوعر ذى المنحدرات ، فإنى احتاج إلى أوتار



فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

لصفحة لتالية

لصفحة السابقة

Exit

وروحانية كثيرة ، حتى بعد جهـــد أجذب واحداً واحداً إلى المستويات العليا . فليس يكتسح النهر فى فيضانه السهول المغطاة بالسنابل والكروم والأشجار التى تثمر الفاكهة وغير المثمرة ، إذا أغلق الوارع المدخل أمام المياة الجارفة .

لنكن هادئين إذن ولنتوقف عن الضحك غير اللائق وعن الإباحية ، قبل أن يجئ الموت الذى لا مفر منه ! ولنحزن حقاً فى غير معاناة الجهـــال غير المتعلمين ذويا لأفكار السقيمة ، ولنسمع كلمات الأناجيل المقدسة القائلة :

• طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون ، لو ٦ : ٢١ .

• طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون ، مت ٥ : ٤ .

المجد والتسبيح للمسيح الذى يرفعنا إلى مثل هذه الرفعة وإلى هذا السمو فى الفضيلة فى حياة النسك . له المجد إلى الأبد آمين ؟

✝ ✝ ✝